دراسات

جينالوجيا التأويلية وإحداث المفهوم في الفكرين الغربي والعربي: النشأة، التطور والمسار

محسن اعريوة

مركز أفكار للدراسات والأبحاث
Afkaar Center for Studies and Research

ALL RESERVED©2020
جميع الحقوق محفوظة © 2020

جينالوجيا التأويلية وإحداث المفهوم في الفكرين الغربي والعربي: النشأة، التطور والمسار

محسن اعريوة
باحث في الفكر الإسلامي وقضايا التأويل

تطرح الجينالوجيا ابتداءً سؤالَيْ: مَن؟ من جهة النشأة والأصول، ولماذا؟ من جهة المسار والتقويم. وبالسؤال الأول تنخرط في فضاء التأويل. وتنخرط بالثاني في فضاء التّقويم والتنزيل. وفي الاتجاهين ثمة نقد جذري[1]، لهذا فالحديث عن التأويلية ومنعطفاتها في عملية الفهم يستوجب ابتداءً-كذلك- الوقوف على جذرها اللغوي ومسار تطور مفهومها وكذا تشكلها التاريخي، وليس من السهل على أي باحث تحديد معنى وتحولات التأويلية سواء في مظانّها الأولى في الفكر الغربي أو في تطبيقاتها في الفكر العربي الإسلامي. لأن المصطلح يبقى دائما لصيقا ببيئته التي ولد فيها، ومثقلاً بالدلالات والمعاني والمرجعيات التي ترعرع في محضنها، فـ"الطريقة التي نقرأ ونفسر بها، تعتمد على الطريقة التي نرى بها العالم ونرى موقعنا فيه. وهذا صحيح بالنسبة لنا.. نحن نجلب إلى النص مُعتقداتنا المسبقة، سواء كانت عن الله أو الغيب والمتعالي، أو مادية أو حرفية"[2].

لهذا كثيراً ما يسود الغموض والتيه في التعاطي مع مصطلح التأويلية، والحقيقة أن البحث في هذا الأخير بحد ذاته تأويل وقراءة تأويلية، لأن اللغة كائن حي، والكائن الحي يتفاعل مع كل بيئة لامسها، فـ"كل كلمة تحيل إلى كلمة أخرى دون الوصول إلى معنى يشفي الغليل أو القبض على حقيقة تتخذ كرهان للسيطرة وإرادة التشويه والتشويش. هناك دائما مشاركة في إنتاج الحقيقة وبناء المعنى، مشاركة ليست حكرا على أحد تؤول إلى معرفة مقتسمة والمعنى كحصص موزعة وفهم مشترك تتداخل آفاقه وتختلف مستوياته وأبعاده. إننا نفهم بنمط مختلف ونعيد وضع الحقيقة المكتشفة والمعنى المشكل على محك النقد والتمحي، لأن اللغة بما هي حوار وتفاهم لا تقف عند حد ولا تسكن إلى حقيقة ودلالة معينة، بل هي في

---

[1]- مجموعة مؤلفين، الفلسفة الألمانية والفتوحات النقدية: قراءات في استراتيجيات النقد والتجاوز، مجموعة من المؤلفين، إشراف وتحرير سمير بلكفيف، جداول للنشر والترجمة-لبنان، ط1، يناير 2014، ص118.

[2]- دايفيد جاسبر، مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2007، ص63.

ارتحال لا يستقر وصيرورة دائمة تؤطرها جدلية السؤال والجواب"[3] ونحن في هذا المقام سنحاول الكشف عن دلالات مصطلح التأويلية ومعانيه وتحولاته والوقوف على مضامينه.

لقد لقي مصطلح التأويلية سجالا عميقا في الثقافتين الغربية والعربية؛ استُهلَّ بترجمة المصطلح إلى مجالنا التداولي العربي، وتجاوز هذا السجال حد النقل والترجمة إلى الرجوع إلى منشأه الثقافي والوعي بحمولاته الابستمولوجية وأبعاده الأنطولوجية، لهذا اضطربت الرؤى وتباينت في ترجمته وتعريبه وتأثيله.

أولا: الجذر اللغوي والاشتقاقي لمصطلح التأويلية وإبستمولوجيا الترجمة

1- الجذر اللغوي والاشتقاقي لمصطلح التأويلية

إن الأصل الاشتقاقي لمصطلح "الهِرْمِنيوطيقا Hermeneutics" أو "التأويلية" في الفكر الغربي هو التعبير الإنجليزي للكلمة اليونانية الكلاسيكية "Hermeneia" الذي يعني التفسير والتأويل، وقيل مأخوذ من (Hermeneutikikos) والتي تعني إزالة الغموض عن الموضوع. والكلمة راجعة في الأصل إلى الجذر اللغوي "Hérméneus هرمس" وهو رسول الآلهة عند الإغريق، ونجد اتجاهات ثلاثة "للفعل «يؤوّل» في اليونانية هي:

أ- يُعبِّر بصوت عالٍ في كلمات، أي "يقول" أو "يتلو".

ب- يشرح؛ كما في حالة شرح موقف من المواقف.

ت- يترجم؛ كما في حالة ترجمة لغة أجنبية.

هذه المعاني الثلاثة جميعا قد يعبِّر عنها الفعل الإنجليزي To interpret، غير أن كلا منها يمثل معنى مستقلاً من معاني التأويل"[4].

2- الهرمنيوطيقا وإبستمولوجيا الترجمة

إن إشكالية التأويل ابتداءً نابعة من إشكالية الترجمة؛ لأن "عدم معرفة المفاهيم التقنية للمصطلحات يمكن أن يحول دون فهم جملة ما، وفي الواقع، يمتزج هذا الجهل بنوع آخر من الجهل يتعلق بالموضوع"[5]. وهذا الاختلاف والتباين راجع بالأساس إلى غياب رؤية منهجية ومعرفية لتأثيل وتأصيل المفاهيم والمصطلحات الوافدة على الثقافة العربية، مما جعلنا نعيش أزمة نوعية واضطراب وضبابية في المفاهيم، و"ضبابة المفاهيم واختلاطها هما مشكلة الفكر، منذ كان الفكر، وهما مشكلة الممارسة في كل قضية يقود فيها الفكر إلى الممارسة. والذين يضلون الطريق إلى الحقيقة –منذ كانت الحقيقة وكان الضلال إلى طريقها- يأتيهم الضلال من ضبابية المفاهيم وانعدام المنهج الفكري عندما يفكرون"[6]. لذا نجد ترجمات

---

[3]- مدخل ترجمة كتاب فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، هانس غيورغ غادامير، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط2، 2006، ص32.

[4]- عادل مصطفى، فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص34-35.

[5]- ماريان لودوير ودانيكا سيليسكوفيتش، التأويل سبيلا إلى الترجمة، ترجمة فايزة القاسم. المنظمة العربية للترجمة-لبنان، ط1، 2009، ص35.

[6]- عبد الكريم غلاب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، ط1، 1998، ص 7.

عديدة للمصطلح الواحد، والمسؤولية هنا ملقاة على عاتق اللغة لا المترجم، لأن "اللغة التي يُترجم إليها النص، لها طقوسها وشروطها الخاصة، بحيث أنها تقحم في النص مسائل وقضايا لا تكون واردة في شكلها الأصلي"[7].

أما بالنسبة للفظة "الهرمنيوطيقا" فنجد هناك من يستهجن استعمال هذه الترجمة في المجال التداولي العربي، فهو عنده "أقبح ما ينطقه الناطق باللغة العربية، ونحن لا نقبل بهذه الترجمة الهجينة الثقيلة ما دام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت مصطلح التأويل"[8] في حين هناك من يرى أن "استعمال صيغة هرمنيوطيقا هو أقرب إلى روح الكلمة نفسها فهناك دوما كلمات أجنبية في عداد المتعذر ترجمته «intraduisible»"[9]، ومن أهم المصطلحات المقابلة للهرمنيوطيقا في ثقافتنا العربية نجد:

1- الفَسارة: يفضل مشير باسيل عون استعمال "الفَسارة" بدل التأويل والتفسير والهرمنيوطيقا، وإن كان قد أقر أن الكلمة مستهجنة لم يألفها لسان العرب، لكن الحاجة إلى مواكبة تطوّر العلوم الإنسانية دفعته إلى إحداث هذا النحت الذي حمله على وزن النباهة والسماجة والحداثة وهو مشتق من الأصل الثلاثي فَسَر[10].

2- نظرية التفسير: وقد اختار هذا المصطلح نصر حامد أبو زيد في معرض حديثه عن القضية الأساسية التي تتناولها الهرمنيوطيقا بالدرس؛ التي هي معضلة تفسير النص. فميز بين التفسير الكلاسيكي المقابل لمصطلح Exégèse؛ الذي مارسه الفقهاء مع النص الديني في بداية تشكل المعارف الدينية، وبين نظرية التفسير باعتبارها "مجموعة من القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعا المفسر لفهم النص الديني"[11].

3- التفسيرية: استُعمل هذا المصطلح من طرف محمد عاني بمعنى علم التفسير ونظرياته، وهو ما يقابل عنده "الشرح Exegesis الذي يعني «صِناعة» التفسير، بمعنى ممارسته وتطبيقاته في الكتاب المقدس"[12].

4- علم التأويل: استخدم محمد بن عياد هذا المصطلح عند تحديده لأسس المصطلح المعرفية، بحيث ميز بين التأويل بما هو لحظة ما في استراتيجية التلقي، وبين "علم التأويل" أو "الهرمنطيقا" بما هو "علم ينظم استراتيجية القراءة بوجه عام"[13]، وبوصفه للتأويل بالعلم، لا يعني –ذلك عنده- أنه يقوم على المعارف الدقيقة، بل لكونه يسعى إلى الارتقاء

---

[7]- أحمد إبراهيم، سر الترجمة وهاجس التأويل، من الكتاب الجماعي: التأويل والترجمة: مقاربات لآليات الفهم والتفسير، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2009، ص 225.

[8]- عبد المالك مرتاض، التأويلية بين المقدس والمدنس، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 29، عدد1، عام2000، ص263.

[9]- هانس جيورج غادامير، فلسفة التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط2، 2006، ص35.

[10]- مشير باسيل عون، الفَسارة الفلسفية: بحث في تاريخ علم التفسير الفلسفي الغربي، دار المشرق-بيروت، ط1،2004، ص9.

[11]- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط9، 2012، ص13.

[12]- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط3، 2003، ص114.

[13]- محمد بن عياد، التلقي والتأويل: مدخل نظري، مجلة علامات-المغرب، ع10، 1998، ص8.

بالإبداع من القراءة السطحية المنغلقة، إلى تأسيس نظرية متكاملة لفهم كل الإبداعات البشرية شفهية كانت أم كتابية.

5- فن التأويل: استعمل هذا المصطلح محمد شوقي الزين متأثرا في ذلك باللاهوتي الألماني فريدريك شلايرماخر الذي عرف الهرمنيوطيقا بكونها فنا، لهذا فضل الزين صيغة "فن التأويل" لترجمة "Herméneutique" تمييزا لها عن "التأويل" بمعنى "interprétation"[14].

6- نظرية التأويل: عنون مصطفى ناصف كتابه ب "نظرية التأويل" بدل الهرمنيوطيقا، لأن التأويل عنده يتصل بمبادئ منهجية لازمة لشرح النصوص، وخصوصا النصوص المقدسة[15]، فأرجع كلمة التأويل إلى التراث الإغريقي وأشار إلى هرمس ضمنيا في قوله "وترتبط -أي كلمة التأويل- بتيسير ما ليس في طاقة الإنسان وتحويله إلى صورة مفهومة. وهكذا نجد في التراث القديم فكرة الأداء البشري لرسالة الآلهة"[16]، وهذه وظيفة هرمس.

7- التأويليات: استعمل هذا المصطلح عبد الرحمن طه في مقابل المصطلح الأجنبي المعرب "هيرمينوتيقا" فهي عبارة عن "النظر في وجوه تحصيل الفهم للنصوص"[17] وعبر عن الفهم بدل التفسير لكون هذا الأخير منهج مناسب للظواهر الطبيعية، أما الفهم فهو المنهج المناسب لاستيعاب الظواهر الإنسانية، "بمعنى أن الأثر الإنساني يُفهم ولا يُفسر، في حين الأثر الطبيعي يُفسر ولا يُفهم"[18].

8- التأويلية: اعتمد الناقد العربي عبد المالك مرتاض هذا المصطلح، مستندا في ذلك إلى معهود العرب في كلامهم، وقد استثقل مصطلح "الهرمينوطيقا"؛ فـ"هو من أقبح ما يمكن أن ينطقه الناطق في اللغة العربية، ونحن لا نقبل بهذه الترجمة الهجينة الثقيلة ما دام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت مصطلح التأويل، فلم يبق لنا، إذن، إلا أن نستعمل "التأويلية" مقابلا للمصطلح الغربي القديم"[19]. كما استعمله فتحي إنقزّو في ترجمته لأهم الجامعيين الفرنسيين جورج غوسدروف Gusdorf (Georges)، فترجم الكتاب من الفرنسية بعنوان "LES ORIGINES DE L'HERMENEUTIQUE" إلى "أصول التأويلية"، وهذا ما سار عليه كذلك جورج كتوره في ترجمته لكتاب: "Hermeneutica" للفيلسوف الكندي جان غروندان (jean Grondin) بـ"التأويلية".

وهناك من استعمل كافة هذه المصطلحات وأضاف إليها، لكونها لا تملك نفس المعنى والدلالة، فوظف كل مصطلح حسب سياقه الوارد فيه. استخدم مصطلح "الهرمينوطيقا" أثناء

---

[14]- محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2015، ص31.

[15]- مصطفى ناصف، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي-جدة، ط1، 2000، ص17.

[16]- المصدر نفسه، ص22.

[17]- طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة: 1-الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط1، 1995، ص38.

[18]- المصدر نفسه، ص38.

[19]- عبد المالك مرتاض، التأويلية بين المقدس والمدنس، مجلة عالم الفكر-الكويت، مجلد 29، ع1، ص263.

حديثه عن التأويل بحمولاته الفلسفية والثيولوجية والأنطولوجية المرتبطة بالذات أكثر من النصوص، كما استخدم مصطلح "التأويلية" في سياق الحديث عن التأويل بوصفه عملية إجرائية ذات سيرورة إبستمولوجية مرتبطة بالنصوص أكثر من الذات، واستخدم أيضا مصطلح "التأويل" في سياق الحديث عن التأويل بوصفه شكلا فينومينولوجيا لفعل الفهم نفسه، واستخدم مصطلح "التأويل الفلسفي" في معرض حديثه عن التأويل المرتبط بقضية فلسفية خالصة، واستخدم كذلك مصطلح "فلسفة التأويل" في سياق حديثه عن التأويل بوصفه نظرية فلسفية لها قواعدها وأسسها[20].

لكن في دراستنا هذه ارتأينا أن نستعمل مصطلح "التأويلية" عطفاً على مبررات مرتاض، واستناداً إلى الأصل اللغوي العربي والقرآني الذي اشتُقَّ منه المصطلح الذي هو "التأويل"[21]، وكذلك لكون المفاهيم والمصطلحات هي بنت الثقافة التي نشأت فيها، وليس من الحكمة توظيف مصطلح "الهرمنيوطيقا" في مجالنا التداولي العربي الإسلامي، لكونه مصطلحاً دخيلا، له توظيفاته الإيديولوجية ومرجعياته الوثنية وحمولاته المادية الغربية؛ التي صيّرت النصوص في كفة واحدة، وتجاوزت بذلك النصوص المقدسة وقدّست الفهم البشري، لأن كل قراءة هي فكر يتعامل مع نص، "فالنص واحد والأفكار متعددة، وهكذا لا مفرّ من تعدد القراءات بتعدد الأفكار، وذلك في كل ميادين القراءات سواء كانت النصوص دينية، أو أدبية، أو تاريخية، أو فلسفية، وهلم جرا..."[22].

ثانيا: إيتيمولوجيا التأويلية وتحول المصطلح

1- إيتيمولوجيا التأويلية

"إنهم يعنون بذلك رسول الآلهة الذي ينبغي له أن يعلن إرادة الآلهة للوثنيين، بحسب ما يراه الوثنيون"[23]. هينريش يوهان زيدلر

يعتبر تحديد المعنى الاصطلاحي وتأثيل جذوره المعرفية وترسيس أصوله التاريخية إشكالاً عويصا عند المُصطلحيين والمترجمين بلهَ الباحثين، وهو ما يجعل الباحث يحار في إيثار هذا المصطلح عن ذاك، خصوصا عندما يكون المصطلح ينتسب إلى علم من العلوم، هذا الأمر أثار سجالا عميقا طرحه علماؤنا حينما ناقشوا فكرة استعمال مصطلح التأثيل

---

[20]- انظر: عمارة الناصر، الهيرمينوطيقا والحجاج: مقاربة لتأويلية ريكور، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2014، ص17.

[21]- انظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة (أول)، دار صادر-بيروت، ج11، ط10، 1994. أيضا: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، 1996، ج1، ص376. وأيضا: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور وعبد السلام هارون، مادة (أول)، دار العلم للملايين-بيروت، 1984، ص1624.

[22]- محمد الطالبي، عيال الله: أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين، دار سراس للنشر، 1992، ص68.

[23]- إعداد وترجمة وتقديم خالدة حامد، عصر الهرمنيوطيقا: أبحاث في التأويل، منشورات الجمل-لبنان، ط1، 2014، ص13.

للتعبير عما سماه الأوربيون بـ "Etymology"[24] ولهذا أصبح مصطلح التأثيل مشاعا في الدوائر والمراجع اللغوية في العالم العربي، وإن اختلفوا كذلك في تسميته "علم التأصيل-علم الترسيس- علم الاشتقاق- علم أصول الكلمات.."، وهو علم يهتم "بالأصول الاشتقاقية وتاريخ تفرعها"[25] وينحصر "في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلبات التي مرت بها. فهو إذن علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال"[26].

والغرض من هذا التأصيل يرجع لكون المصطلح الوافد إلى ثقافتنا يكون مثقلا بالعوامل التاريخية والثقافية والتقاليد والعادات الاجتماعية وليس من الحكمة استعمال أي مصطلح غربي دون الرجوع إلى جذوره الابستيمولوجية، لأن الأَصل في المفهوم أن يكون منفهما من صورته اللفظية ومنتسبا إلى مجاله التداولي، لذا يعتبر الانتساب التداولي عند طه عبد الرحمن شرطا ضروريا في حصول الانفهام من اللفظ[27]، وهذا ما سنحاول تطبيقه على مصطلح "الهرمنيوطيقا" مراعين في ذلك تاريخ المصطلح وتاريخ ما آل إليه المصطلح اليوم.

يرجع أصل هذا المصطلح الأسطوري في أغلب المعاجم والموسوعات الغربية إلى الثقافة الإغريقية والتراث اليوناني[28]، عن "هرمس Hermes"[29] اسم أحد الآلهة الاثني عشر للأولومبس، الذي كان رسولا للآلهة بحيث كانت مهمته أن ينقل الكلمة الإلهية إلى بني البشر، فيكون من ثم وسيطا بين مملكة الأولمب وبين عالم الكدح البشري[30]، فهو إله الكلمة الفصيحة والبيان عند اليونانيين، فقد كان رسولا للآلهة، ابن زيوس ومايا. وأيضا إله اللصوص والمسافرين، وإله الطرق والأسفار، والمرشد إلى جميع الاتجاهات[31]."وهكذا فإن

---

[24]- انظر: سليم عواريب، الأصول الابستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس في اللغة، مجلة مقاليد-الجزائر، ع9، ديسمبر2015، ص123.

[25]- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات: عربي-فرنسي وفرنسي-عربي، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب-تونس، 1984، ص21.

[26]- جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة-القاهرة، ط1، 2014، ص226.

[27] - انظر: طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة: 2- القول الفلسفي (كتاب المفهوم والتأثيل)، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط2، 2005، ص121.

[28]- انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات-بيروت-باريس، المجلد الثاني، ط2، 2001، ص 556.

[29]- نظرا لعالمية هرمس فقد تنازعته الأمم والثقافات، وكل ينسبه إليه، وهو اسم أطلق في وقت محدد على شخصية تبدو أنها تسبق الثقافة اليونانية بأجيال، وهو نفس الشخصية التي سمتها الفرس ابنجهد، وسماها اليهود أنوش أو أنوخ وأخنوخ وسمتها الصابئة بوذاسيف، وسماها المسلمون إدريس النبي عليه السلام.. إضافة إلى أسماء أخرى.

[30]- رامان سلدن، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ج 8، ص399.

[31]- منى طلبة، الهيرمينوطيقا المصطلح والتاريخ، مجلة أوراق فلسفية-مصر، ع10، 2004، ص130.

النظر إلى مهمة هرمس قد يمنحنا تحذيراً واضحا عن التعقيدات التي ينطوي عليها مصطلح هرمنيوطيقا والمشروع الهرمنيوطيقي ذاته"[32].

ولا تقتصر مهمته في تبليغ ونقل رسالة الآلهة فقط، بل يتعدى ذلك إلى تفسير وشرح الأوامر الإلهية لكي يفهمها الناس، وذلك للتمييز بين فن التأويل والفن التكهني لدى غادامير، وهكذا تطور المعنى المعرفي لـ"Hermeneias" و"hermeneus" في الهلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمي أو المؤول المترجم، لأن "فن تبليغ الإرادة الإلهية يقف جنبا إلى جنب مع فن إدراك هذه الإرادة أو تكهن المستقبل انطلاقا من علامات معينة"[33] ويرجع مصطلح الهرمنيوطيقا أيضا في الثقافة المصرية القديمة إلى "إله المصريين القدماء الإله "تحوت" (Theth) أو "توت" الذي هو عندهم الإله المعادل والمتحول، ومن ألقابه "كاتب الآلهة" و"رب الكتابة" و"الناطق العظيم".. وقد دمج تحوت بهرمس، وأطلق عليه اسم -Tri smegistos؛ أي مثلث العظمة، أو العظيم ثلاث مرات، لأنه يتمتع بالصفات الثلاث "ملك-قاضي-كاهن" ما يشير إلى مكونات العالم: "الله-الإنسان-الطبيعة"، وأطلقت "الهرمسية Herme-tisme" على الغنوصية التي ظهرت في مصر والتي أسست على الكتب المنسوبة إلى هرمس رمزا للعرفان الباطني الصوفي من جهة، والإدراك الفلسفي في الأفلاطونية المحدثة من جهة ثانية وكل أدب التحويل الكيميائي من جهة ثالثة"[34].

ويرى جان بيبان "أن نقلها إلى اللاتينية بكلمة "interpretatio" قد أفسد –معنى- الهرمينيا؛ ذلك أن المصدر "interpretation"، وقد انتقل كما هو تقريبا إلى اللغات الأوربية الحديثة، ينطوي على حرف سابق بارزق جدا هو الذي يعطيها، قبل كل دلالة، المعنى الأساسي للـ"الوساطة"، وهذا المذلول المتين قد ارتدّ على الهرمينيا، التي لم يكن أصلها الاشتقاقي ليوفّر لها أي حماية. ولقد صارت الهرمينوطيقا، بفعل العدوى، مرادفا للتأويل أو الشرح. بيد أن المعنى الأصلي للهرمينويين "hermeneuein" ولأخواتها، وفي كل الأحوال معناها الأساسي ليس هذا بل لا يبعد أن يكون نقيضاً له، إن سلّمنا بأن الشرح هو حركة نفاذٍ إلى قصد نصّ أو بلاغ. تعني هرمينيا، في الغالب الأعم، فعل التعبير، الذي سمة التخريج (...) هي السمة الأظهر فيه"[35] ويؤكد المؤرخ الفرنسي جورج غوسدروف على أنها تعود إلى عشرات القرون، وأنها بدأت في الإسكندرية (العصر الذهبي للتأويلية)، ثم استُرجعت في عصر النهضة والإصلاح لكي تزدهر بعد ذلك في عصر الأنوار وعصر الرومانسية. و"أكبر فعل للقراءة الإغريقية تأسس مع تلاوة ملاحم الإلياذة والأوديسا، وفيها

---

[32]- إعداد وترجمة وتقديم خالدة حامد، عصر الهرمنيوطيقا: أبحاث في التأويل، منشورات الجمل-لبنان، ص14.

[33]- هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط2، 2006، ص62.

[34]- منى طلبة، الهيرمينوطيقا المصطلح والتاريخ، مجلة أوراق فلسفية-مصر، ع10، ص126-131. (بتصرف)

[35]- ج غوسدروف، أصول التأويلية، ترجمة فتحي إنقزو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ط1، 2018، ص42. نقلا عن: Jean pépin, L'herméneutique ancienne, les mots et les idées, poétique, 23,1975, p.291.

يختلط الإنسان بما هو إلهي، إنها أشعار تحمل المعاني المتعددة تنزل فيها الآلهة إلى الإنسان، ويحتاج العادي إلى المؤولين لفك الرموز والشفرات المستغلقة"[36].

2- الهرمنيوطيقا: إحداث المصطلح وتحول المفهوم في الفكرين الغربي والعربي "تأويل Herménetique: تفسير نصوص فلسفية أو دينية، وبنحو خاص الكتاب (شرح مقدَّس). تُقال هذه الكلمة خصوصاً على ما هو رمزي"[37].

ظهرت الهرمنيوطيقا بوصفها فنا منذ قرون في الجامعات البروتستانتية وخصوصا الألمانية، تحديداً القرن السابع عشر، عام١٦٥٤ حين استخدمها الستراسبورغي يوهان كونراد داوهاور (Johann conrad Dannhauer) ليُشير بها إلى ما كان يُسمى قبله فن التفسير، وهو أول من استعمل هذا التعبير في عنوان أحد مؤلفاته " Hermeneutica sacra sive metgodus expnendarum sacrarumlitterarum"[38]، ونشب في كنف هذه النشأة صراعا مذهبيا حجب المعرفة في المجال الثقافي الفرنسي، من طرف المذهب الكاثوليكي الذي حنّط الفهم الكلاسيكي والتفسيرات الرسمية للكتاب المقدس، وحارب كل تأويل مجازي أو فهم جديد باعتباره هرطقة، وقد "كانت المراقبات الكنسية دوماً وزراً على النفوس، التي رأت أنها في حِلٍّ من كل مسايرة للظلامية الكهنوتية"[39]، وتم بذلك رفض كل سلطة كنسية سواء كانت متمثلة في البابا أو المجامع الكنسية؛ التي احتكرت الفهم الصحيح للدين واستغلاله من أجل التحكم في الناس.

هكذا ظهرت الإرهاصات الأولى للهرمنيوطيقا في الفكر الغربي، باعتبارها فلسفة وفنا للفهم يتجاوز الفهم التقليدي المتحجر السائد الذي يجعل من النص آلة صماء، وليس كائنا حيا، يولد فهما جديدا لكل عصر حسب حاجاته ومتطلباته، إلا أن الفهم أو التأويل في الثقافة الغربية تأثر كثيرا بالفلسفة اليونانية، ونزع القداسة عن النصوص الدينية، ليصبح التعامل معها كالتعامل مع أي نص بشري، وهذا سنناقشه فيما بعد.

ثم انتقل المفهوم والمصطلح إلى العالم الإسلامي، وكان أول من تَهرمس في الإسلام هم الشيعة كما ذكر المستشرق كوربان، يقول: "وليس من العجب أن يكون الشيعة أول من «تَهرمس» في الإسلام. فالفلسفة النبوية عند الشيعة، من جهة، قد تبادر إلى ذهنها، تلقائيا، إلى أي طبقة نبوية ينتمي «هرمس». فهو لم يكن رسولاً مشرعا مكلفا بأن يعلن للناس عن شريعة جديدة بل إن دوره في «تاريخ الرسل القدساني» هو دور نبي أرسل لكي ينظم الحياة

---

[36]- بومدين بوزيد، الفهم والنص: دراسة في المنهج التأويلي عند شليرماخر وديلتاي، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2008، ص14-15.

[37]- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات-بيروت-باريس، المجلد الثاني، ط2، 2001، ص555.

[38]- جان غروندان، التأويلية، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2017، ص13.

[39]- ج غوسدروف، أصول التأويلية، ترجمة فتحي إنقزو، ص41.

في المدن المتحضرة ويعلم أهلها, الأمور التقنية والفنية"[40] وهذا ما ذهب إليه كذلك الجابري[41]، ويأتي الشهرستاني فيذكر هرمس العظيم بـ"المحمودة آثاره، المرضية أقواله وأفعاله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال له إدريس النبي عليه السلام (...) ويقال إن عاذيمون وهِرمس هما شيث وإدريس عليهما السلام"[42]، فشخصية هرمس ليست غريبة على الثقافة الإسلامية وإن اختلفت التسميات، لكن يبقى الإشكال في تطبيقات المنهج الهرمنيوطيقي الغربي على النص الديني الإسلامي.

وقد عدَّ عبد الجبار الرفاعي الشيخ أمين الخولي باعتباره أول هِرْمنيوطيقي بالعربية، ويظهر ذلك في محاولاته الرائدة بتوطين الهِرمنيوطيقا والمناهج الحديثة في تفسير وقراءة القرآن الكريم في المجال التداولي العربي، وكذلك تلك الحملة التي شنّها علماء الأزهر عليه، لكونه نادى بإحداث مناهج وأدوات جديدة وتوظيفها لفهم ونقد الدين ونصوصه، يقول: "بعد استقراء وتتبع يمكن القول إن الخولي هو أول هِرمنيوطيقي بالعربية، وربما في الإسلام. إذ لا أعرف أحدا سبقه إلى ذلك"[43]. في قراءته التجديدية للنص الديني ونقد التراث، يرى الخولي أن للعلوم دورٌ كبير في فهم وتفسير القرآن، واستجلاء معانيه، فـ"الشخص الذي يفسر نصا، يلون هذا النص بتفسيره له وفهمه إياه.. والتفسير على هذا التلوين يتأثر بالعلوم والمعارف التي يلقى بها المفسر النص... فالنحوي -مثلا- يلقى القرآن بأصول الصنعة الإعرابية، يحكمها في فهم معانيه. ويحتكم إليها في تحديد مدلولاته؛ فيُلوِّن التفسير بمنهج دراسته وأسلوبها"[44]، لقد كان شعار الخولي هو "أول التجديد قتل الماضي فهما"[45]، لكون التجديد لا يمكن إلا من خلال الانفتاح على التراث وغربلته وإحياء خلاياه البائرة وإضفاء روح العصر فيه من خلال المستجدات الطارئة والتطورات التي وصل إليها العلم.

في ظل هذا التجديد الذي نادى به أمين الخولي، نجده قد تأثر كثيرا بالتأويلية الغربية، خصوصا الألمانية، لكونه عمل فيها ونهل من مفكريها[46]، فعمل على استجلاء الجانب الإستطيقي الفني في تذوق النص واستشفاف أبعاده البلاغية والبيانية والنفسية، وأطلق على ذلك «فن القول»، يقول: "بل كان سبيل الأخذ بالتفسير النفسي ما دام هذا القرآن ليس إلا أثرا أدبيا، وطرفة من الفن القولي؛ وهو الفن الذي عرفنا من صلته بعلم النفس، وحاجته إلى علم النفس الأدبي... ووجب إذن أن يكون متفهم القرآن ومفسره، خبيراً بما مارس هذا القرآن،

---

[40]- هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، عويدات للنشر والطباعة-بيروت، ط2، 1998، ص163.

[41]- انظر: محمد عابد الجابري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط6، 1993، ص129.

[42]- أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ج2، دار المعرفة-بيروت، ط3، 1975، ص45.

[43]- عبد الجبار الرفاعي، رائد الدرس الهرمنيوطيقي بالعربية الشيخ أمين الخولي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ع-64 63، صيف وخريف 2015، ص13.

[44]- أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط1، سبتمبر1961، ص296-297.

[45]- المصدر نفسه، ص302.

[46]- عمل الشيخ أمين الخولي في مفوضية مصر في برلين سنة 1926، ونهل من فكر اللاهوتي فريدريك شلايرماخر رائد التأويلية الغربية وتلميذه ويليام ديلتاي.

من رياضة للوجدانات والقلوب. وسياسة الأنفس والأرواح، وكيف تلطف لذلك كله، وماذا استخدم من حقائق نفسية في هذه المطالب الوجدانية، والمرامي القلبية"[47].

خاتمة:

لقد عرفت التأويلية منذ نشأتها في اليونان سيرورات تاريخية متعددة، شهد فيها المصطلح تحولات مهمة أنضجته وجعلته في صدارة الإشكالات الدينية واللغوية والفلسفية الحديثة والمعاصرة. فالمصطلح في بداياته كان مرتبطا بتفسير الأساطير والأشعار ثم انتقل لكي يعبر عن شرح وتأويل الكتاب المقدس، لكن فيما بعد أصبح فلسفة تهتم بفهم كافة النصوص دينية كانت أو فلسفية أو أدبية... وفي هذا المسار التاريخي شهدت التأويلية عدة تقلّبات ميتودولوجية وابستمولوجية وأنطولوجية؛ وفي كل مرحلة من هذه المراحل تزداد صرامتها المنهجية ومتانتها العلمية، لتتصل بكافة الحقول المعرفية الأخرى، كما ازداد كذلك البحث فيها أكثر تعمقا واستكشافا.

لائحة المصادر والمراجع:

1. أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ج2، دار المعرفة-بيروت، ط3، 1975.
2. أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط1، سبتمبر1961.
3. أحمد إبراهيم، سر الترجمة وهاجس التأويل، من الكتاب الجماعي: التأويل والترجمة: مقاربات لآليات الفهم والتفسير، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2009.
4. بومدين بوزيد، الفهم والنص: دراسة في المنهج التأويلي عند شليرماخر وديلتاي، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2008.
5. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور وعبد السلام هارون، دار العلم للملايين-بيروت، 1984.
6. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ج11، ط10، 1994.
7. جان غروندان، التأويلية، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2017.
8. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات-بيروت-باريس، المجلد الثاني، ط2، 2001.
9. جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة-القاهرة، ط1، 2014
10. ج غوسدروف، أصول التأويلية، ترجمة فتحي إنقزو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ط1، 2018.

[47]- المصدر نفسه، ص328-329.

11. خالدة حامد، عصر الهرمنيوطيقا: أبحاث في التأويل، منشورات الجمل-لبنان، ط1، 2014.
12. طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة: 1-الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط1، 1995.
13. طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة: 2- القول الفلسفي (كتاب المفهوم والتأثيل)، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط2، 2005
14. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات: عربي-فرنسي وفرنسي-عربي، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب-تونس، 1984.
15. عبد الكريم غلاب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، ط1، 1998.
16. عمارة الناصر، الهيرمينوطيقا والحجاج: مقاربة لتأويلية ريكور، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2014.
17. محمد الطالبي، عيال الله: أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين، دار سراس للنشر، 1992.
18. محمد عابد الجابري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط6، 1993.
19. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط1، 1996.
20. مصطفى ناصف، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي-جدة، ط1، 2000.
21. محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط3، 2003.
22. مشير باسيل عون، الفَسارة الفلسفية: بحث في تاريخ علم التفسير الفلسفي الغربي، دار المشرق-بيروت، ط1،2004.
23. ماريان لودوير ودانيكا سيليسكوفيتش، التأويل سبيلا إلى الترجمة، ترجمة فايزة القاسم. المنظمة العربية للترجمة-لبنان، ط1، 2009.
24. محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط1، 2015.
25. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي-المغرب، ط9، 2012.
26. هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، عويدات للنشر والطباعة-بيروت، ط2، 1998.
27. هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط2، 2006.

المجلات:

1) سليم عواريب، الأصول الابستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس في اللغة، مجلة مقاليد-الجزائر، ع9، ديسمبر2015.

2) عبد المالك مرتاض، التأويلية بين المقدس والمدنس، مجلة عالم الفكر-الكويت، مجلد 29، ع1.
3) عبد المالك مرتاض، التأويلية بين المقدس والمدنس، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 29، عدد1، عام2000.
4) عبد الجبار الرفاعي، رائد الدرس الهرمنيوطيقي بالعربية الشيخ أمين الخولي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ع63-64، صيف وخريف 2015.
5) محمد بن عياد، التلقي والتأويل: مدخل نظري، مجلة علامات-المغرب، ع10، 1998.
6) منى طلبة، الهيرمينوطيقا المصطلح والتاريخ، مجلة أوراق فلسفية-مصر، ع10، 2004.

مركز أفكار للدراسات والأبحاث

Afkaar Center for Studies and Research

https:// Afkaar.Center

afkaarcenter@gmail.com

twitter.com/AfkaarCenter

facebook.com/AfkaarCenter

ALL RESERVED©2020

جميع الحقوق محفوظة © 2020